العذاق الحواني
على
نظم رسالة القيرواني
(١)

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

قطاع الشؤون الثقافية

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

دولة الكويت - في مطلع كل شهر عربي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

الإصدار السابع والخمسون

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

العنوان:

ص.ب ٢٣٦٦٧

الصفاة ١٣٠٩٧ الكويت

هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ - ١٨٤٤٠٤٤

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

البريد الإلكتروني:

info@alwaei.com

الموقع الإلكتروني:

www.alwaei.com

الإشراف العام:

رئيس التحرير

فيصل يوسف أحمد العلي

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

الوعي الإسلامي
أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م
مجلة كويتية شهرية جامعة

العذاق الحواني
على
نظم رسالة القيرواني

الناظم
عبد الله بن الحاج حماه الله الشنقيطي

الشارح
زايد الأذان بن الطالب أحمد الشنقيطي

راجعه لغويًا وشارك في تخريج بعض الأحاديث
محمد بن زايد الأذان

الجزء الأول

الإصدار السابع والخمسون
١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

تصدير

بقلم: رئيس تحرير مجلة الوعي الإسلامي

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيِّد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه والتابعين.

أما بعد:

فإنّ الحاجة لنشر العلم المؤصَّل شديدةٌ وماسّة، لطلبة العلم الشرعيّ على وجه الخصوص، وللمثقّفين عموماً.

ولـمّا كان المذهب الرسميّ لدولة الكويت هو المذهب المالكيّ، وكانت معرفة المذهب والدرايةُ به على وجه سديدٍ مما يَرْغب فيه علماء المذهب وغيرُهم، ويستفيدُ منه أهل المذهب وغيرهم؛ فإنّ مجلة «**الوعي الإسلامي**» اختارتْ طباعة هذا الكتاب العلميّ الرّصين؛ ألا وهو: «**العِذَاقُ الحَوَانِي على نظْمِ رسالةِ القيروانيّ**» **للشيخ العلّامة المتفنّن: زايد الأذان بن الطالب أحمد الشنقيطي**. وهو عبارة عن شرحٍ موسّع ممتع لنظم «الرّسالة الفقهية»، لناظمها: الشيخ العلامة عبد الله بن الحاج حماه الله الشنقيطي.

والشيخ الشارح من العارفين بالمذهب المالكي أصولاً وفروعًا، ومن المحققين فيه، وله خبرةٌ واسعةٌ، ودراية كافية، مَكَّنَتاه من الولوج في غمار الأنظام والشروح، حتى أتى فيهما بالعجب العجيب، فجزاه الله خيراً ونفع به.

وطريقة الشيخ في كتابه هذا على المنوال الآتي:

- يورد أبيات النظم، ويبيِّن معانيها.
- يشرح الأبيات شرحاً إجمالياً.
- يشرح الأبيات شرحاً مفصلاً يدمج فيه النظم بالشرح، ويذكر في ثناياه ما تيّسر له من الأدلة.
- يخرّج الأحاديث النبوية الشريفة دون غيرها من النصوص، مكتفياً فيما يتفق عليه الشيخان بهما، وقد يضيف لهما مالكاً رَحِمَهُ اللَّهُ إذا وجد الخبر في موطئه.
- يستخلص من الشرح ما تضمنه من الأحكام.

وفي الحقيقة، إنّ من نظر في النظم وشرحه يقضي للناظم والشارح بالتمكّن المتين من الفقه وعلوم الآلة وسائر الأدوات المساعدة، مما جعل كتاب «**العذاق الحواني**» بحقٍّ ديواناً من دواوين العلم الجليلة في هذا الزمان، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

هذا، ومجلة «**الوعي الإسلامي**» بدولة الكويت ترجو أن تكون بإصدارها هذا قدّمتْ خدمة للأمة وطلبة العلم، وتسأل الله تعالى أن يوفقها لإخراج المزيد من الكنوز العلمية.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

رئيس التحرير

فيصل يوسف أحمد العلي

مقدَمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرح صدورنا للإسلام، وحبب إلينا التفقه في خير الأديان، ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله وصفوته من خلقه صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه واستن بسنته إلى يوم الدين. وبعد: فإنه لا يخفى على طلاب علم الفقه الشرعي على مذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله، ما للمقدمة الفقهية المعروفة برسالة ابن أبي زيد من مكانة وما حظيت به من إقبال منذ عرفتها مدرسة الفقه وحتى اليوم، ذلك الإقبال الذي يفسره بجلاء هذا السيل الجارف من الشروح المستفيضة والوجيزة والوسيطة، ما لم يعرف مثله من كتب الفقه إلا القلة. وقد تفضل بنظمها عالم فذ من مشاهير علماء دار العلم (شنقيطي) هو العالم الراوي والجهبذ الحاوي عبدالله بن الحاج حماه الله القلاوي، نظما سهل الانتفاع بها، ويسر الاحتفاظ بمضمونها في الصدور. وقد تصدى بعض الأفاضل، ومنهم الناظم، لشرح هذا النظم شروحا هي قطعا في مجملها أفضل مما تقف عليه هنا، إلا أني مع ذلك أطمع في أن يكون ما أضفته مفيدا، حيث اتبعت أسلوبا خالفت فيه أغلب أساليبهم، غفر الله لي ولهم، وهو باختصار أني:

١ ـ أورد أبيات النظم وأبين معاني ما يحتاج لبيان من مفرداتها ـ ٢ ـ أشرح الأبيات شرحا إجماليا ـ ٣ ـ أشرحها شرحها تفصيليا يندمج فيه النظم بالشرح وأذكر في ثناياه ما تيسر لي من الأدلة ـ ٤ ـ أخرج الأحاديث الشريفة، دون غيرها من النصوص، مكتفيا فيما يتفق عليه الشيخان بهما، وقد أضيف لهما مالكا إذا وجدت الخبر عنده. ـ ٥ ـ وأستخلص من الشرح ما تضمن من الأحكام.

ترجمة الناظم

هو: أبو محمد، عبد الله بن أحمد بن الحاج حماه الله (حمى الله) القلاوي البكري، أحد أفراد وقته في العلم، له في كل فن اليد الطولى، ولد على الأرجح في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري، ولم نقف على من عين سنة ميلاده ولد ونشأ وتلقى جل علومه في مدينة العلم «شنقيطي» وترعرع في أسرة مشهورة بالعلم والصلاح، وقد ظهر عليه النبوغ مبكرا، وتتلمذ على جماعة من أشهر علماء بلده في أيامه، منهم في القرآن وعلومه: الشيخ محمد بن أحمد بن عبدالرحمن القلاوي، وفي الحديث سيدي عبدالله بن الفاضل اليعقوبي وسيدي مالك بن الحاج المختار القلاوي الذي أجازه في صحيح البخاري وغيره، وتتلمذ في النحو والمنطق على المختار بن بونا الجكني، وتتلمذ في الفقه على شيوخ كثر.

وبعد أن بلغ في العلم شأنا ارتحل إلى الحوض (المناطق الشرقية من موريتانيا الآن) حيث يقطن أغلب أفراد قبيلته، فبقي في تلك المناطق يعد من أشهر علماء زمنه حتى توفي بها يوم الجمعة لليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة تسع ومائتين وألف هجرية.

وقد ألف المترجَمُ في أغلب الفنون المعروفة في بلده، فله مصنفات في علوم القرآن وفي الحديث ومصطلحه، وفي الفقه وأصوله، وفي العقائد والتصوف، وفي اللغة. واشتهر بالبراعة في الفتوى.

جاء كتاب: «الوسيط في تراجم أدباء شنقيط»: لم يكن في أرض الحوض مثله في زمنه، وكان إذا أفتى في مسألة تلقتها الناس بالقبول، ووقعت بينه وبين القصري صاحب النوازل مخالفة في مسألة فقهية فغلبه القصري، فقيل له في ذلك. فقال: مثلي كمثل من عنده أنواع عديدة مما يستطاب فيتناول من أيها شاء، ومثله كمن ليس عنده إلا شيء واحد. يعني أن القصري فقيه لا غير، وأما هو فله في كل فن

أعلى منزلة. وكان كثير النظم نافعه، نظم رسالة ابن أبي زيد القيرواني نظماً سلساً أوله:

قال أبو محمدٍ عبدُ الإله * لينظِمَ النثرَ الذي جَلا حُلاَه

ونظم مقدمة عبد الرحمن الأخضري في الصلاة نظما تلقته الناس في بلده ونفع الله به وأوله:

عبدُ الإله الشنقيطي يشتري * بعقده المنظوم تبرَ الأخضر

ونظم الخزرجية في العروض وأول نظمه لها قوله:

الحمد لله على تخريج * مسائلِ العلوم بالتدريج

وبدأ رحمة الله عليه ينظم مختصر خليل، فنظم منه بيتا واحدا من كتاب البيع ثم صرفه عن ذلك صارف، انتهى من الوسيط بتصرف.

وعد البارتيلي في كتابه فتح الشكور له مألفات تناهز الخمسين، ثم قال في ختام ترجمته له: ومن شعره قبل وفاته بيسير رحمه الله تعالى:

أَصَبْتُ فِي الْعِلْمِ وَلَمْ أُلْفِ مَنْ * يَقْرَأُ أَوْ يَعْلَمُ مَا أَعْلَمُ

فَصِرْتُ فِي قَوْمِي كَمَا مُخْطِئٌ * يَقْرَأُ بِالْهَمْزِ وَلاَ يَرْسُمُ

ويعود نسب الناظم إلى محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وذلك بحسب السلسلة التي بأيدي أفراد قبيلته «لقلال»، فهو: أبو محمد عبدالله بن أحمد بن حماه الله (حمى اللَّه) بن أحمد بن المصطفى (الحاج الْمُصْطَفْ) بن محمد بن أحمد بن يبويه بن انضِيضَ أحمد بن محمد (مَحَّمْ) بن محمد قُل لِّي أو قُلِّي (قيل: لقب بذلك لأن قومه كانوا يستفتونه فيقولون له إذا سألوه عن حكم: محمدُ قل لي. وقيل: لقب به لأنه كان عارفا ببعض لهجات العجم، وكان والده عالما يفتي ويدرس العلوم فكان محمد يترجم لهم ما يقوله والده فيترددون عليه يطلبون منه بيان ذلك فيقول له السائل منهم: محمد قل لي. وقيل: لقب «قُلِّي»

نسبة إِلى قُلَّة جبل، أي: أعلاه، كان لجأ إِليها خاليا بربه يتعبده. ولعل هذا التعليل الأخير أوجه لما يتداوله أهلنا في مدينة شنقيطي وقد نقلته مشافهة من بعض الكبار أثناء رحلة بحثية قمت بها صحبة أخي وصديقي الشريف الطبيب محمد محمود ابن المصطفى بن الشيخ آل السعيد غُصنا معا خلالها في مكتبات مدينة شنقيطي العريقة كمكتبة أهل أحمد محمود وغيرها، وذلك صيف ١٤٣٠هـ وممن استفدت منهم كثيرا فيما نحن بصدده الوالد أحمد بن الدحَّ. ثم من الكتب التي أفادتني في البحث كتاب «موريتانيا الوقائع والوفيات» للقاضي بِيَّ بن سليمان الذي جاء ما فيه مطابقا لما أفادنيه الأشياخ من أهل شنقيطي كالوالد أحمد بن الدحَّ وغيره في ذكر سبب بناء شنقيطي الثانية ومعنى اسمها، وجملته: أن محمد قُلِّي قدم على شنقيطي قادما من زارا وبنى عريشا بقرب أبير عند كثيب يسمى قيطي فبدأ بعض سكان أبير يتوافدون عليه ويساكنونه حتى انتقلوا من بلدتهم القديمة إِلى شنقيطي الجديدة. وفي معنى تسمية شنقيطي قال: إِن أصلها «سن قيطي» بالمهملة، ثم تصحفت فصارت تنطق بالمثلثة، وكلمة «سن» تطلق في اللهجة الحسانية على قمة الجبل.اهـ قلت: أخبرني الوالد أحمد بن الدحَّ أمد الله في عمره، وغيره من أهل شنقيطي أن معنى تسمية شنقيطي في لهجة سكانها الأقدمين من البربر: «الجبل الثاني» وأروني كثيبا بين شنقيطي المدينة وآبَّيْرْ ما زال يطلق عليه اسمه القديم: «قيطي» وأخبروني أنه كان في الأصل تلة صخرية زحفت عليها الرمال فصارت كثيبا رمليا تظهر الصخور من سفحه إِذا سالت البطحاء التي تجاوره. وثبت لدي من ثقاة عارفين بلهجات البربر أن معنى شنقيطي هو: التلة الثانية، أي أنه مؤلف من كلمتي «شين» ومعناها اثنان و«قيطي» ومعناها التلة. وذلك في لغة أكبر القبائل الأمازيغية، وهي قبيلة: «إِمُوشَغْ» وأهل شنقيطي يسمون لغة أولئك القوم بلغة «أَزَيْرْ». وإِلى محمد قلي يرجع نسب القبيلة فينطق اسمها هكذا: (لَقْلاَلْ) بالقاف لا بالغين المعجمة كما

ينطقه البعض من أبناء القبيلة، ومنهم أهل علم وفضل، إلا أنه ترجح عندي أن القاف أصح لما مر ذكره في سبب تسمية جد القبيلة، وأن اسمه هو محمد قُل لِّي أو محمد قُلِّي، صاحب أقدم شعر فصيح عرفه أهل شنقيطي. وهو ابن إبراهيم الأمير الذي جاء بلاد شنقيطي يقود جيشا من العرب والفرس والترك والمصريين (حسب وثيقة عثر عليها مؤخرا في إحدى مكتبات السادة الولاتيين) فتوغل به في بلاد السودان الغربي (السينغال ومالي) ينشر الإسلام ويبث العلم، وقبره في مدينة زارا في جمهورية مالي. وهو ابن محمد أو أبي بكر بيكْ أو بَكْ، (لقب تركي معناه السيد أو الحكيم، والعامة من أبناء القبيلة ينطقونه: بَيْكَ بفتح الكاف، وهو تحريف بين) ابن جابر بن موسى الطاهر بن أبي النجيب عبد القاهر السهروردي بن عبدالله بن محمد بن عبدالله الشهير بـ(عموية) بن سعد بن الحسين بن القاسم بن النضر بن سعد بن النضر بن عبدالرحمن بن القاسم بن محمد ابن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه. وقد ذكر المترجَم نفسه سلسلة نسبه في نظم قال فيه:

يارب عبد الله نجل أحمد ❊ عاملهما بلطفك المسرمد
نجل حما الله ونجل أحمد ❊ والمصطفى محمد وأحمد
يبوي انضيض أحمدْ معْ محمد ❊ محمد إبراهيم مع محمد
وبيكَ جابر وموسى الطاهر ❊ أبو النجيب وهو عبدالقاهر
وذا ابن عبدالله مع محمد ❊ وذا ابن عبدالله السهروردي
سعيد القاسم محمد أبي ❊ بكر رضي الله عن كل أبي

ويلاحظ أن النظم سقط منه بعض رجال النسب ما بين السهروردي والقاسم ابن محمد بن أبي بكر رضي الله عنه، ستة رجال وتصحف اسم واحد وهو سعد سماه سعيدا، وقد تتبعت ذلك مسترشدا ببحث للأستاذ محفوظ بن محمد محمود ابن خيري، في نسب القبيلة، وهو ابن عم المترجم، فحقق وحققت بعده سلسلة

نسب أبي النجيب من عدة مصادر تاريخية، اخترنا من بينها ما أورده ابن خلكان في وفيات الأعيان نقلا عن تاريخ بغداد لمحب الدين بن النجار، وذلك لأن ابن النجار قال: نقلت نسب الشيخ أبي النجيب من خطه ثم أكمله كما أوردناه آنفا وبينه وبين محمد بن أبي بكر أحد عشر رجلا، وليس خمسة رجال كما في نظم ابن الحاج حماه الله.

ويظهر أن الشيخ جدو بن الْبُ رحمة الله عليه، وكان في حياته شيخ عموم مجموعة أولاد أحمد من قبيلة لقلال، عندما قال:

بين أبينا غل مع أبيه ❊ خليفة النبي ذي التنزيه
وهو أبو عائشة الصديق ❊ وهو عبد ربه العتيق
ثلاثة اعْشر من الأجداد ❊ وخرجنهما من الأعداد

يبدو أنه بنى حكمه على أن بين «محمد قلي» والصديق ثلاثة عشر رجلا على نظم ابن الحاج حماه الله، والصحيح أن بينهما تسعة عشر رجلا، كما نقله ابن النجار في تاريخ بغداد عن خط يد أبي النجيب.

يضاف إلى هذه السلسلة الصحيحة ما هو كالمجمع عليه بين أغلب علماء أهل بلدهم «بلاد شنقيطي» أو ما يعرف الآن بجمهورية موريتانيا الإسلامية.

ومن ذلك ما في كتاب «صحيحة النقل في علوية إدوعل وبكرية محمد قل» للعلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي صاحب «مراقي السعود، ونشر البنود عليه» وغيرهما، قال في «صحيحة النقل»: «وأما الاقلال فمن ذرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه ثم من أولاد ابنه محمد». وفي موضع آخر من الكتاب آنف الذكر قال: «وقال لي سيدي محمود بن مولود بن محمد القلاوي، قال له الشيخ سيد أحمد الحبيب اللمطي: «إنهم ينتسبون إلى عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما لكن إذا نظرت فإننا إخوانكم فأنتم من أولاد محمد بن أبي بكر

الصديق رضي الله عنه» وفي موضع آخر قال: «أخبرني الثقة من حجاج إِدوعل أنه لقي بمكة – شرفها الله – سيد أحمد الحبيب، فأوصى سيد أحمد الحبيب الحاج المذكور بأن قال له: «إِذا رجعت إِلى مصر فاسأل الشيخ المرتضى عن نسب أهل شنقيطي، والشيخ المرتضى هو شمس مصر في زمنه في العلوم يشهد له شرحه للقاموس في اللغة، فلما مر ذلك الحاج على مصر سأل الشيخ المرتضى عن نسب أهل شنقيطي ولم يخص له في السؤال قبيلة عن قبيلة فقال له على البديهة:« أهل شنقيطي علويون وبكريون، أما إِدوعل فهم أولاد محمد بن علي بن أبي طالب. وأما أولاد محمد قلي فبكريون».

وفي معرض حديثه عن قبائل الزوايا في شنقيطي، قال الشيخ أحمد بن محمد الأمين في كتاب الوسيط في تراجم أدباء شنقيط: وفيهم قبائل متحقق عند النسابين هناك صدقهم في نسبهم، فمن ذلك القبيلتان المسمى بمدينتهما اسم القطر كله وهما: إِدوعل والاقلال، لم نر من خالف في أن الأولى علوية والثانية بكرية اهـ.

وكتب إِليَّ آبه بن عبد السلام بن حرمة بن عبد الجليل ـ وهو من أعيان إِدوعل ـ في رسالة بعث بها إِليَّ مع موسى بن سيد المختار العلوي، ما نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيد المرسلين.. العلامة أحمد ابن حبت في نقلته عن أنساب القبائل الشنقيطية يثبت بكرية الاقلال معتمداً في نسخته على «صحيحة النقل» و «كتاب الشيخ سيديا»، وبدي بن سيدينا أثبت ذلك النسب في قصيدته لأهل شنقيط حيث قال:

سلام عليكم أهلَ شنقيطَ من مصر ❊ من آل عليّ أو من آل أبي بكر

إِلى أن يقول:

فكونوا كما كانت عليه جدودكم ❊ فما علويٌّ كان يعرف من بكري

وهؤلاء أدنى مرتبتهم العدالة، مع أننا لم نجد في كتب التاريخ نفي بكرية الاقلال على الإطلاق».

وقد عثرت على رسالة قيمة كان قد كتبها منذ سنوات العلامة محمد أحمد بن عبد القادر الشنقيطي ثم المدني ـ تغمده الله بواسع رحمته ـ وفيها يقول: لقد ذكرت يوماً وأنا في مدرسة شيخنا العالم الذي هو لكل تائه عن رشد أهدى علما يحظيه بن عبد الودود أن بعض قبايل موريتانيا ينتسب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه من جهة ابنه محمد بن أبي بكر فصاح فيَّ بعض الطلبة ممن يحفظ نظم البدوي في الأنساب أنه لا عقب لمحمد بن أبي بكر يوجد في العالم وإنما الباقي من عقب أبي بكر ما كان من نسل ابنه عبد الرحمن، فقلت لهم: البدوي بدوي وحلَّة السيري التي أخذ منها هذا القول ليس لها أساس تحال عليه قوي، فإن الشيخ اليدالي لما ذكر هذا القول فيها غير معزو لأحد من أهل العلم، ولا لديوان من دواوين من يعرف بالعلم معضلا له عمن لا يعلم علمنا أنه لم يوجد له أساساً نقلاً وذلك لعدم من قال به من أهل السير، وتراجم الرجال ، وذلك شاهد لما قدمنا من قصور أهل البادية في مادة النقد والتحقيق، وعزو المصادر وعدم التوثيق إلا بانتشار عقب هذا الرجل وكثرة وجودهم من لدن أبيهم في كل قرن من القرون كما في الكتب المتداولة بأيدي الطلبة كأنساب قريش للزبير بن بكار، وطبقات ابن سعد، وجمهرة النسب لابن الكلبي، وفي عمدة كتب السنن والآثار للإمام مالك رحمه الله الذي ينتسب إلى مذهبه اليدالي والبدوي، وقد أكثر فيه عن شيخه عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، والقاسم أحد الفقهاء السبعة الذين قدمهم عمر بن عبد العزيز للفتوى بالمدينة ولعبد الرحمن بن القاسم ـ شيخ مالك المذكور ـ ولد يقال له محمد من مشاهير أهل العلم، قرأ على مالك، وقد ترجم لأحفاد هؤلاء الأسر محب الدين بن النجار في تكملة تاريخ بغداد لأبي بكر أحمد

ابن علي بن ثابت الحافظ البغدادي، وابن خلكان في وفيات الأعيان فذكروا من مشاهير عقبهم: عبد الرحمن جمال الدين الحافظ العلم المعروف بابن الجوزي وأبا النجيب عبد القاهر السهروردي، وابن أخيه أبا حفص السهروردي صاحب عوارف المعارف، الكتاب الذي في هامش إِحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، وعبد القاهر هو الذي حج على رقاب الرجال من بغداد إِلى مكة ليري الناس بعض مزايا العلم والتقوى في الدنيا قبل الآخرة. وذكر صاحب الشقائق النعمانية زاده في طبقات الدولة العثمانية، منهم أحمد بن حمزة شمس الدين والملة الدمشقي من مشاهير عقب شهاب الدين السهروردي المتقدم الذكر، وأنه وصل هو وأبوه إِلى بلاد الروم ودولة آل عثمان التركيين بها فأقام أبو العباس السهروردي فيها معهم وأنه شهد مع السلطان محمد خان بن السلطان مراد فتح القسطنطينية، وأن له رأياً ومشاركة في فتحها، وأنه كان ربما جلس معه في المجلس أحد عشر رجلاً من أولاده، وذكر من شهرته وامتداد عقبه ما شاء في الكتاب المذكور «فتح القسطنطينية». وقد ترجم الذهبي وغير واحد من المتأخرين في تراجم الرجال ممن هم مقاربون للشيخ اليدالي في عصره جماعة منهم. فمن أين له ولمقلده البدوي ما ذكرا من أن طريق النسب إِلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه إِنما هي من جهة ابنه عبد الرحمن فقط من غير استناد إِلى نقل عمن يعرف بالعلم والتحقيق «ومثبتا قدم على من قد نفى» القاعدة. عفا الله عنا وعنهم، فقد كان لأخيهما عبد الله بن أبي بكر الذي كان استشهد في غزوة الطائف في حياة أبيه عقب أيضاً منهم: عبد الرحمن بن محمد أحد أعلام مصر وسَراة قضاتها قرأ على بهرام العلامة المشهور وغيره من علماء المذهب. رفع الشيخ أحمد باب في نيل الابتهاج صفحة ٦٧٢ نسبه من غير إِرسال ولا إِعضال ولا انقطاع إِلى أبيه عبدالله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما.

إِلى هنا انتهى ما نقلت من رسالة الشيخ محمد أحمد بن عبد القادر القلاوي

ثم المدني، رحمة الله عليه، وبه وبما تقدمه تعلم قطعا صحة نسب هؤلاء القوم.

غير أنه جاء في بعض كتب الأنساب والسير أن نسب محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قد انقطع. هكذا نسب إِلى بعض أهل السير العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إِبراهيم العلوي في كتابه «صحيحة النقل»، وصرح بذلك المجلسي في نظمه لحلة السيري لليدالي في الأنساب، الذي رأيت تفنيده في رسالة الشيخ محمد أحمد السابقة. قال المجلسي في نظمه:

من نسل ثاني اثنين جاح اثنان ❊ محـــمـــدٌ ومـشـبـه الجـــمان

جريـــح وج وتـوى بعد النبي ❊ وعابد الرحمن سلك النسب

قال شارحه، بعد كلام طويل: «وابنا محمد القاسم الفقيه وعبد الرحمن أمهما بنت يزدجرد أعطاها علي لمحمد بن أبي بكر، وولد القاسم عبد الرحمن بن القاسم وأم فروة بنت القاسم وهي أم موسى الكاظم بن جعفرالصادق ولعبد الرحمن بن القاسم عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم، ولعبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهؤلاء علماء كلهم ثم انقرضوا في خلافة بني العباس زمن المأمون بن هارون الرشيد. انتهى

هكذا قال حماد بن الأمين في كتابه «تحفة الألباب»، لكن إِذا نظرت بتمعن إِليه تجد فيه من الخلل مايلغيه البتة. وإِني ذاكر لك من ذلك ثلاث نقاط هي من البداهة بحيث تغنيك عن أي نظر.

النقطة الأولى: الناظم والشارح ذكرا انقطاع نسب محمد بن أبي بكر رضي الله عنه دون أن ينسب أي منهما ذلك إِلى مصدر يوثق به، أو حتى لا يوثق به. ولا يخفاك سقوط ما لم يسند من الأخبار.

النقطة الثانية: الشارح ذكر لمحمد ولدين هما القاسم وعبد الرحمن، ثم قص نسل القاسم حتى أفناه ـ حسب زعمه ـ دون أن يذكر شيئاً عن نسل شقيقه عبد

الرحمن، فأين إِذن ذرية عبد الرحمن بن محمد؟

النقطة الثالثة: رأيت السلسلة التي سردناها لنسب أبي النجيب منقولة من عدة مصادر موثوقة، وفيها أن نسب أبي النجيب عبد القاهر السهروردي ينتهي إِلى النضر بن عبد الرحمن بن القاسم بن أبي بكر، كما في وفيات الأعيان لابن خلكان نقلا عن ابن النجار ووافقه أغلب المؤرخين في اسم النضر بن عبدالرحمن. وسماه بعضهم كالذهبي في سير أعلام النبلاء، والسبكي في طبقات الشافعية، والسمعاني في الأنساب: معاذا، ولم ينكر أحد منهم وجوده. بينما لم يذكر صاحبنا، في شرحه نظم جده، لعبد الرحمن بن القاسم إِلا ابنا واحدا، هو: عبدالله بن عبدالرحمن بن القاسم، فكيف أغفل أخاه النضر؟ علما بأن عبدالرحمن بن القاسم يكنى أبا محمد وأبا القاسم، مما قد يدل على أن له ابنين آخرين بهذين الاسمين وقد ذكره بالكنيتين الإِمام السخاوي في التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة المجلد الثاني صفحة ١٤٦ ولفظه: عبدالرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، أبو محمد القرشي.. وأطنب في الثناء عليه ثم قال: وقال ابن عيينة: سمعت أبا القاسم ـ يعني عبدالرحمن بن القاسم ـ وما بالمدينة يومئذ أفضل منه .. إِلى آخر ما قال. وقال ابن حزم الأندلسي في كتاب جمهرة أنساب العرب الصفحة رقم ١٣٨: فولد عبدالرحمن بن القاسم إِسماعيل وعبدالله. والشيخ محمد أحمد ابن عبد القادر في رسالته التي وقفت عليها آنفا، قال إِن لعبدالرحمن ابنا من أهل العلم قرأ على مالك اسمه محمد ولست أشك في أنه قال ذلك عن علم، علما بأن من كناه التي مرت قربا: أبا محمد. إِذن عبدالرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه له ابن آخر غير ابنه عبدالله، سواء كان اسمه: النضر، أو معاذا، أو محمدا، أو القاسم، أو إِسماعيل، هو الذي ينتهي إِليه نسب أبي النجيب. هذا إِذا لم يكن له أبناء متعددون بعدد هذه الأسماء التي ذكرها هؤلاء الأعيان.

شيء آخر أوضح برهانا، وأقطع دليلا، وهو أن أبا النجيب عبد القاهر السهروردي، الذي أجمع كل المؤرخين والنسابين وعلماء الرجال على أنه من أجل وأوثق علماء عصره ولم يختلف اثنان ممن وقفنا على ترجمتهم له في أنه من ولد محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، (إلا ما قد يفهم من تشكيك في عبارة ابن كثير: «كان يذكر أنه من سلالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه» ، وهي عبارة لا تقدم ولا تؤخر) ولم يختلف اثنان في أنه قد مات وقت صلاة عصر يوم الجمعة السابع من جمادى الآخرة سنة ثلاث وستين وخمس مائة للهجرة، كما أنه لم يختلف اثنان من المؤرخين في أن الخليفة عبدالله المأمون بن هارون الرشيد مات يوم الخميس الثاني عشر من شهر رجب سنة ثمان عشرة ومائتين للهجرة، فكيف إذن أفلت أبو النجيب من إفناء اليدالي والبدوي وابن الأمين؟ أو كيف يموت هو وجميع آبائه ثم يعيش بعد ذلك ثلاث مائة وخمسا وأربعين سنة؟ أم أنه لم يولد إلا بعد فناء آبائه بهذه المدة؟ علم ذلك عند اليدالي والبدوي وحمَّاد، فليسألهم مصدقوهم.

وهذه هي سلسلة نسب محمد قلي من نظم الشارح:

مُحَمَّدُ الْقُلِّيُّ إِبْرَاهِيمُ * وَالِدُهُ مُحَمَّدُ الْحَكِيمُ

وَهْوَ أَبُو بَكْرٍ وَبَكُّ لَقَبُ * لَهُ ابْنُ جَابِرٍ لِمُوسَى يُنسَبُ

الطَّاهِرِ الذي ابْنُ عَبْدِ الْقَاهِرِ * السُّهْرَوَرْدي صَاحِبِ الْمَآثِرِ

وَهْوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ نَجْلِ الْجَدِّ * مُحَمَّدٍ، عَمُويَ نَجْلِ سَعْدِ

نَجْلِ الْحُسَيْنِ وَهْوَ نَجْلُ الْقَاسِمِ * وَالْقَاسِمُ بْنُ النَّضْرِ ذي الْمَكَارِمِ

وَهْوَ ابْنُ سَعْدٍ ثُمَّ سَعْدُ النَّضْرُ * أَبُوهُ لِلنَّضْرِ يَحِقُّ الْفَخْرُ

لأَنَّهُ ابْنُ عَابِدِ الرَّحْمَنِ * وَذَا إِلَى الْقَاسِمِ عَالِي الشَّانِ

ذِي الْفِقْهِ فِي طَيْبَةَ مَن مُحَمَّدُ * نَجْلُ أَبِي بَكْرٍ أَبُوهُ الأَمْجَدُ